# 15 - السيدة أسماء بنت يزيد

## نسبها وإسلامها

اسمها أسماء، والدها يزيد بن السكن، والدتها أم سعد بنت خزيم الأشهلية، زوجها أبو سعيد الأنصاري سعيد بن عمارة، والصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ ابن عمِّها.

كانت أسماء من ذوات العقل والدين، فصيحة اللسان، لم تصل كثيراً من النساء إلى مثل بلاغتها، وقوة تعبيرها، وكانت تتمتَّع بحسٍّ مرهف، وعاطفة رقيقة، وهي محبة للجهاد، وقد برعت في الخطابة حتى سميت بخطيبة النساء.

انتسبت أسماء إلى مدرسة أبي القاسم ﷺ، ودخلت روضة الإسلام فجنت من أزاهيرها كل شَذِيٍّ، وقطفت من وردها كل نَدِيٍّ، ودفعها حبها للجهاد إلى تعلُّم الفروسية، حتى برعت فيها، وأصبحت جرأتها وشجاعتها مضرب المثل، وقد أدَّى بها ذلك إلى رسوخ عقيدتها، وثبات معتقدها، والتَّصدِّي للدفاع عن النساء إذا كان الحق إلى جانبهنَّ.

وقد أسلمت أسماء على يد مصعب بن عمير سفير رسول الله ﷺ إلى المدينة لتعليم أهلها القرآن، وأحكام الإسلام.

## الطاعة دليل المحبة

وفي السنة الأولى للهجرة قدمت أسماء مع وفد النساء اللواتي أتين إلى رسول الله ﷺ لمبايعته، وهناك نبَّهها رسول الله ﷺ إلى حكم شرعيٍّ، فكانت سرعة استجابتها لأوامر رسول الله ﷺ تدل على قوة إيمانها، روى الإمام أحمد، عَنْ شَهْرٍ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

لأُبَايِعَهُ فَدَنَوْتُ وَعَلَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَبَصُرَ بِبَصِيصِهِمَا، فَقَالَ: «أَلْقِي السِّوَارَيْنِ يَا أَسْمَاءُ، أَمَا تَخَافِينَ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِسِوَارٍ مِنْ نَارٍ؟» قَالَتْ: فَأَلْقَيْتُهُمَا فَمَا أَدْرِي مَنْ أَخَذَهُمَا[1].

إنها مؤمنة مسترشدة جاءت إلى معلِّمها ومرشدها تبتغي العلم والرشاد، فلما علَّمها وأرشدها سرعان ما استجابت، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: 24].

وباتت أسماء تكثر التَّردُّد إلى رسول الله ﷺ سواء أكان في بيت السيدة عائشة ﵂ أم في المجالس التي يعقدها لصحابته الكرام ﵃ لتأخذ عنه الحديث الشريف وأحكام الفقه، حتى وإن بدا لبعض الجهَّال أن في أسئلتها شيئاً من الحرج، ولمَّا كان العلم بالتَّعلُّم فلتسأل عما تشاء لتستكمل أمور دينها ثم تنقلها إلى غيرها ممن لم يُؤتَوْن من العلم إلاَّ قليلاً.

وقد امتدحها معظم كتَّاب السير، وقال عنها ابن عبد البر: «كانت من ذوات العقل والدين»[2].

## دلائل عقلها ودينها

وقد استأذنت ذات مرة على رسول الله ﷺ، وكان في جماعة من أصحابه يستقون من منهله ويتعلمون مما علَّمه الله، فلما أذن لها، وكان ﷺ لا يصافح النساء، قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنا رسول من ورائي من جماعة من نساء المسلمين، كلهنَّ يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتَّبعناك، ونحن – معاشرَ النساء – مقصوراتٌ مخدَّراتٌ، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضِّلوا بالجُمَعِ والجَمَاعات، وعيادة

(1) رواه: أحمد/ كتاب: من مسند القبائل/ باب: حديث أسماء بنت يزيد/ برقم: (26283).
(2) الاستيعاب (4/ 233).

المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، والجهاد في سبيل الله، وإذا خرجوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم، وغزلنا أثوابهم، وربَّينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟.

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وقال: **«هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ أَحْسَنَ سُؤَالاً عَنْ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟»** فقالوا: لا، والله يا رسول الله، ما سمعنا مثل ذلك، وما ظننا أن امرأةً تهتدي إلى مثل هذا، ثم قال رسول الله ﷺ: **«اِنْصَرِفِي يَا أَسْمَاءُ، وَأَعْلِمِي مَنْ وَرَاءَكِ مِنَ النِّسَاءِ، أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ[1] إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا لِمَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعَهَا لِمُوَافَقَتِهِ، يَعْدِلُ كُلَّ مَا ذَكَرْتِ لِلرِّجَالِ»**، فانصرفت أسماء وهي تردد: الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، أشهد أن محمداً رسول الله، استبشاراً بما قاله لها رسول الله ﷺ، وسكنت نفسها إلى عدالة الإسلام، ورحمته، وسموِّ تشريعه.

وأسرعت إلى صواحبها بما قاله لها نبي الرحمة رسول الله ﷺ وأعلمتهن بحفظ الإسلام لكرامتهن وحقوقهن.

وكانت أسماء كلما حظيت بلقاء رسول الله ﷺ قبست شعاعات من شمس هداه، وازدادت علماً مما علَّمه الله، حتى إذا غادرت مجلسه لم تزل منتشية بكلامه العذب الذي يدخل القلوب قبل الآذان، ويمتع البصائر قبل النواظر، وذلك الفضل من الله، وكان فضل الله عليه عظيماً.

وكانت أسماء لا تكفُّ عن السؤال والاستفسار عن كل ما يكمل دينها، فقد روى الإمام مسلم عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ صَفِيَّةَ تُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَسْمَاءَ بنت يزيد سَأَلَتْ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ، فَقَالَ: **«تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ**

(1) التَّبعُّل: أداء حق الزوج.

**تَأْخُذُ فِرْصَةً**[1] **مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا»** فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ فَقَالَ: **«سُبْحَانَ اللهِ!! تَطَهَّرِينَ بِهَا»** وَاسْتَتَرَ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ - كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ -: تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ، فَقَالَ: **«تَأْخُذُ مَاءَ فَتَطَهَّرُ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ - أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ - ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ، حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ»**.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ[2].

وكانت هناك رابطة مودَّة وصداقة بين عائشة وأسماء، مما يجعلها تكثر الدخول على السيدة عائشة ﵂ لتثري ذخيرتها العلمية والفقهية من علمها وفقهها، فقد كان الأكابر من الصحابة يجدون لديها القول الفصل فيما كانوا فيه يختلفون.

## البركة في طعامها

ومن مناقب أسماء أن الله تعالى جعل البركة في طعامٍ قدَّمته للنبي ﷺ، وها هي ذي ﵂ تحدث عن تلك الكرامة فتقول: رأيت رسول الله ﷺ صلى في مسجدنا المغرب، فجئت بعرقٍ[3] وأرغفة، فقلت: بأبي أنت وأمي تعشَّ، فقال لأصحابه: **«كُلُوا بِاسْمِ اللهِ»**، قالت: فأكل هو وأصحابه الذين جاؤوا معه، ومن كان حاضراً من أهل الدار، فوالذي نفسي بيده لرأيت بعض العرق لم يتعرَّقه، وعامة الخبز، وإن القوم أربعون رجلاً، ثم شرب من ماءٍ

---

(1) الفِرْصة: خرقة، أو قطنة تتمسَّح بها المرأة من الحيض.

(2) رواه: مسلم/ كتاب: الحيض/ باب: استحباب استخدام المغتسلة من الحيض فرصة من مسك/ برقم: (500).

(3) العِرق: عظم عليه بعض اللحم.

عندي في شَجَبٍ[1]، فدهنته وطويته، فكنا نسقي منه المريض، ونشرب منه في الحين رجاء البركة.

## راوية حديث رسول الله ﷺ

وكانت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها من أكثر نساء الأنصار حفظاً وروايةً لحديث رسول الله ﷺ، فقد روت واحداً وثمانين حديثاً، وروى عنها ابن ماجه، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، وشهر بن حوشب، ومجاهد بن جبير، وابن أختها محمود بن عمرو الأنصاري، وغيرهم من الرواة.

## المجاهدة بما وسعها

وقد هداها عقلها الراجح، وفكرها السديد، وفهمها لدينها إلى ضرورة مشاركة المرأة في الجهاد إلى جانب الرجل، وقد نفَّذت في معركة اليرموك ذلك حين خرجت مع جماعةٍ من النساء، فكن يسقين الماء، ويناولن السلاح، ويضمدن الجراح، ولكن كل هذا لم يُرضِ طموحاتهنَّ، فحين حمي وطيس المعركة، واشتد سعيرها عزمت أسماء وصواحبها على المشاركة في القتال، ولكن من أين يأتين بالسلاح؟ وراحت كلٌّ منهنَّ تدبر أمرها فيما تراه في متناول يدها، وبدا لأسماء أن عمود الخيمة يفي بالغرض، ويبلغ المرام، فانتزعته، واندفعت به بين صفوف أعداء الله من الروم، وباتت تضربهم عن يمين وشمال، وحقَّقت ما لم يطقه كثيرٌ من الرجال، حيث قضت بمفردها على تسعة من جنود العدوِّ، وأعجلتهم إلى جهنم وبئس المصير.

ولم تستطع أسماء أن تتفادى بعض الجراح غير الخطيرة خلال هذه المعركة الضارية التي خاضتها، وقد منَّ الله تعالى عليها بالشفاء بعد علاجٍ قصير الأجل.

---

(1) الشَّجَبُ: قِرْبَةُ الماء.

واستمرَّت حياتها سبعة عشر عاماً بعد معركة اليرموك أنفقتها في فعل الخيرات، والحضِّ عليها حتى حضرتها الوفاة، رحمها الله تعالى، ورضي عنها، وتقبَّلها بقبولٍ حسن.

obeikandl.com